

بلا لوجوس قبل أن يُعطى آدم المقدرة على تسمية الأشياء واستخدام اللغة، أي قبل أن يظهر الإنسان (الإنسان الرباني القادر على التجاوز، وعلى أن يحمل عبء الهوية والمسئولية)، وقبل أن تظهر الدوال التي تشير إلى مدلول، وقبل أن تنقسم الحقيقة إلى دال ومدلول. عالم براءة الصيرة هذا هو عالم الطفل في مرحلة الخيالي أو المتخيل (بالفرنسية: إيماجينير *imaginaire*) قبل الانتقال إلى عالم الثنائيات، عالم ما قبل التاريخ والزمان، حينما كان الإنسان طفلاً رضيعاً لم تتشكل هويته بعد، إذ كان لا يزال في المرحلة الجنينية التي كان يظن فيها أنه جزء من جسد أمه، وأن جسد أمه هو العالم. إنه عالم المادية الخالص، فالمادة الأصلية التي تكوّن منها الكون (والتي لم يُعرفها ولم يعرفها أحد) هي مادة لا تعرف سوى التماثل (والحرية هي مقاومة التماثل). والمادة لا تعرف شيئاً خارجها، فهي تصفي ثنائية الذات والموضوع وتتخلص منها، لأنها تستدعي عالماً متجاوزاً وأصلاً ربانياً للإنسان، ولكنها مادة في حالة حركة دائمة وعدم تشكّل دائم، ولذا فهي نسبية مطلقة، متغيرة ثابتة، هي الدال والمدلول، أو الدال بلا مدلول، أو المدلول غير المتجاوز، وهي حالة كمون تام.

٦ - والمعرفة من منظور ما بعد الحداثة معرفة بدون مركز، فهي معارف صغيرة، محدودة بنطاقها، فهي مثل الجسد الذي لا تتجاوز شرعيته حدوده. وحينما ندركه هو وحده، فنحن ندرك ذاتنا وحسب (فالجسد هو الذات والموضوع). ويرى فوكو أن الجسد هو مركز القوة، والرغبة هي التعبير عن الجسد، فالرغبة هي التي يجب أن تنتج الواقع، ولذا فإن الانعتاق هو إطلاق العنان للرغبة، أما القمع فهو وضع الحدود لها. وتختلف التشكيلات الاجتماعية حسب تعاملها مع الجسد والرغبة، فهي تضعها داخل شفرة وخريطة محددة، والثورة من ثم هي محاولة تغيير الشفرة والخريطة. ويرى فوكو أن هدف المعرفة في الماضي كان هو إرادة تنظيم الواقع، بما يتطلبه ذلك من تفسير، وبما تستند إليه من افتراض وجود الحقيقة الموضوعية (ثنائية الذات والموضوع)، أما الهدف من المعرفة الآن فهو إرادة القوة واللعب والرغبة.